

عنوان المحاضرة

التفسير بالمأثور

التفسير بالاثر

الاثر : (هو ماروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وماروي عن الصحابة او عن التابعين موقوفا عليهم او مرفوعا وهذا عند اهل الحديث ومنهم من يجعله مرادفا للحديث فيقصره على ماروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم)

اما التفسير بالاثر فقد اصطلح عليه اهل التفسير بانه: ماروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن الصحابة او عن التابعين من تفسير لايات الله في سورة من القرآن او في نص قرآني او لفظ من القرآن .

التفسير بالاثر هو اول انواع التفسير ظهورا لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفسر ما اشكل على الصحابة فهمه من القرآن الكريم ولما كانوا مستغنين عن كثير مما احتاجه غيرهم لفهم القرآن الكريم فكان ما فسرهم الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كثيرا .

وسر اعجازه يمكن في فهمهم له بسهولة ويسر لانه نزل بلغتهم التي كانت سائدة وهي مادة ادبهم وكلامهم ، وسبب ايمانهم انهم سمعوا كلاما يفهمونه بنظم لا يستطيعون ان يأتوا بمثله مع تلاوته وتحريكه النفس حتى وصفه المعاندون بانه (شعر يؤثر) الاية فالصحابه رضي الله عنه انشأوا مدارس للتفسير في الاقطار الاسلامية التي هاجروا اليها فنتلمذ عليهم التابعون وأخذوا عنهم فهمهم تفسيرهم فكان التابعون اعلم بتفسير القرآن المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من الذين جاؤوا بعدهم. وقيام التفسير بالاثر على ما يأتي :

أ-تفسير القرآن بالقرآن .ب-تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة.ج-تفسير القرآن باقوال الصحابة رضي الله عنهم

د- تفسير القرآن باقوال التابعين باحسان رحمهم الله تعالى .

أ-تفسير القرآن الكريم بالقرآن :

فإن القرآن الكريم قد وردت فيه آيات مجملة ثم فصلت في موضوع اخر كما نزلت آيات مبهمة ففسرت في موضوع ثان ثم ان القرآن الكريم آيات يستدل على تفسيرها بنظائرها في مواضع اخرى فمثلا قول تعالى (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (٧) تفسرها الاية (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) النساء _ ٦٩)

كما ان اغلب قصص القرآن الكريم مجملا في موضوع مفصلا في موضع اخر فمثلا قصة موسى عليه السلام وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام تقرأها في سورة النازعات على الشكل التالي **قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَنَخَسْ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ ﴾** ثم فصل في سورة القصص بقوله : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ**

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَعِجِبُ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا حَمَيْتِ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ الايات الى قوله **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفُرْقَيْنِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾** . وفي القرآن الكريم ما اجمل في مكان وفصل في مكان اخر وفيه ما طلق في موضع وقيد في غيره وهكذا .

ب- تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة :

وهذا هو الركن الذي لا يقوم التفسير باي شكل من اشكاله بدونه فقد كان الرسول ﷺ هو الوساطة الوحيدة بين الله وبين الناس، والقرآن هو معجزته ودستوره .

وقد كلفه الله سبحانه بتبليغه للناس فقال تعالى : **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ وكان

الرسول الكريم ﷺ يبلغ القرآن ساعة نزوله حتى يصل الى اقصاهم . وكان فيما ينزل قصص وعبر واحكام ونظم فكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، يفهمون القصص ويعتبرون بها ولا يصعب عليهم في فهمها شيء فهي بلغتهم وعلى اساليب كلامهم تركيبا وافراد ، اما الاحكام فكان ﷺ يفسر ما جاء في القرآن الكريم تفسيرا عمليا حيث يذكر القرآن الكريم العبادة ولم يكن للمسلمين عهد سابق بها قبل الاسلام ولا قبل ان تنزل ، فمثلا الصلاة لم تكن معهودة ولديهم فلا بد اذا من معرفة معنى الخطاب في قوله تعالى (اقيموا الصلاة) وكذلك الزكاة والحج وجميع العبادات التي تتطلب اعملا معينة .

وهذا التفسير ملازم للقرآن الكريم لا يستغنى عنه ابدا ، ولا لاحد ان يقول اني استغني عن السنة بالقرآن الكريم فقد قال ﷺ : (الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه الا اني قد اوتيت القرآن ومثله ، والا يوشك رجل شعبان على اريكته ويقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لايحل لكم لحم الحمار والاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطعة من مال معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها) (فقد حرم النبي ﷺ في هذا الحديث لحم الحمار الاهلي والسباع ذات الانياب واللقطه من مال المعاهد) فالسنة هي موضحة للقرآن الكريم من الناحية التشريعية فان آية التحريم وهي قوله تعالى(قل تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نُنزِّلُكُمْ وَإِيَاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفُلْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) لم يرد فيها ما حرمه الحديث السابق. لهذا قال العلماء(الرجل الى الحديث احوج منه الى الاكل والشرب وقالوا : الحديث تفسير (القرآن) .

وحاصل القول ان الرسول ﷺ فسر ما احتاج اليه المسلمون من القرآن الكريم وما فهمه المسلمون لم يتعرض له الرسول ﷺ الا اذا شعر انهم ربما فهموه على غير ما اراد الله به ولكن الرسول ﷺ لم يفسر جميع القرآن الكريم اذ لم يكن لهم به حاجة في ذلك الوقت.

ج- تفسير القرآن باقوال الصحابة الكرام رضي الله عنهم

الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم هم الذين اختارهم الله لمجلس رسوله ولحمل رسالته وقد اصطفاهم لذلك ولذا فانهم كانوا نموذجا فريدا تقتدي به الانسانية وردت في فضلهم آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى

الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ وقوله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وهناك آيات كثيرة تكملت بفضلهم وصفاتهم وقد روى عن قتادة في قوله عز وجل : (ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق) قال: الذين اوتوا العلم (هم اصحاب محمد ﷺ) وسئل سعيد بن المسيب عن شيء فقال : (اختلف فيه اصحاب رسول الله ﷺ ولا ارى لي معهم قولاً . ولا يستطيع الانسان ان يحصي فضلهم ابدا . فلا بد ان ناخذ باقوالهم في التفسير لاسباب منها:

اولا: هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم اعلم الناس بالقرآن الكريم بعد رسول الله ﷺ ولانهم شاهدوا نزول الوحي وعلموا ظروف النصوص القرآنية كل على انفراد فيعلمون كل ما يحيط بالنصوص من ظروف ، اصف الى أن القرآن نزل بلغتهم

كما اسلفنا ، ولذا فان احسن الناس علما بتفسير القرآن الكريم هم الصحابة على تفاوت بينهم فمنهم الذي برع بتفسير النصوص مطلقا ومنهم الذي علم ما جاء في القرآن من احكام ومنهم من ادرك الفرائض .

ثانيا: هناك ظروف احاطت بالنص القراني لا سبيل لمعرفةها بالعقل فلا بد من النقل فيها وهي من الامور اللازمة لتفسير النص ولا يستقيم التفسير بدونها فلا يعرفها الا من حضرها وهم الصحابة رضي الله عنهم. مثلا تعيين المراد في آيات الاحكام قال تعالى : (السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) فلا يستطيع احد ان يعرف بعقله اي اليدين التي تقطع ولا من أي مكان ولا مقدار المال الذي تقطع اليد بسبب سرقة ..

ثالثا: معرفة اسباب النزول: عن عُرْوَةَ قال: خاصم الزبير رجلا في شُرَيْحٍ من الحَرَّةِ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك" فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابن عمك؟ فَتَلَّوْنِ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك" ... قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ } فلا يعرفها الا الصحابة رضي الله عنهم

رابعا: معرفة الناسخ ناسخ القرآن ومنسوخه: فلا يمكن معرفته الا بالنقل عن الرسول ﷺ او الصحابة رضي الله عنهم الذين يعلمون اي النص اسبق نزولا ثم بعدئذ تعلم ايهما الناسخ المعمول به . وبناءً على ما تقدم فلا بد ان ناخذ باقوال الصحابة رضي الله عنهم .

الصحابي هو الذي شاهد رسول الله ﷺ وهو مسلم ومات وهو على الاسلام . وقالوا ايضا: (من الصبيان والاطفال راي رسول الله ﷺ يوم الفتح وفي حجة الوداع وعدادهم في الصحابة) ..

د- تفسير القرآن باقوال التابعين:

يعتبر اصحاب مدرسة التفسير بالاثار نتاج التابعين من قبيل التفسير بالمأثور او الاثر قال الشيخ الذهبي (يشمل التفسير المأثور ماجاء في القرآن نفسه من البيان والتفضيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول ﷺ وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان توضيح المراد لله تعالى من نصوص كتابه الكريم) .

والواقع ان ما جاء عن ثقات التابعين من القضايا التي ليس فيها مجال للاجتهد كاسباب النزول والنسخ وغيرها فان راي الثقة يؤخذ على انه اخذ من الصحابة الكرام وباعتباره ثقة فلا يمكن ان يكذب على الصحابة وان لم يذكر مورده فيها .

اما ما كان فيه مجال للاجتهد والرأي فاغلب العلماء على انه راي قابل للخطأ والصواب وانما يستأنس به استئناسا وهذا هو الرأي الراجح . هذه هي موارد التفسير المأثور وهذه هي اسس مدرسة التفسير بالأثر . ويرى علماء هذه المدرسة انه لا يؤخذ التفسير الا عن هذ الطرق وما اخذ من غيرها فهو من قبيل القول على الله بغير علم.

ويرى اهل التفسير بالاثار انه لايجوز التفسير بغير الاثر ولهم في ذلك ادلة.

ادلة اهل الاثر على ماذهبوا اليه:

١. ان الله سبحانه وتعالى قال : (انا انزلنا اليك الكتاب لتبين للناس ما انزل اليهم) قالوا ان الله سبحانه امر الرسول ﷺ بالبيان فلا يجوز لا حد غير الرسول ﷺ ان يبين ويفسر القرآن .
٢. قالوا ان التفسير هو بيان مراد الله سبحانه وتعالى ، ولا يعرف مراد الله سبحانه الا من اطّلع الله عليه وهو الرسول ﷺ .
٣. قالوا ان الله سبحانه وتعالى قال (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وحاشا ان يكون الرسول ﷺ قد قصر في تبليغ الرسالة .

٤. وبناء على الفقرة السابقة فان الرسول ﷺ قد فسر القرآن الكريم كله وليس لاحد ان يخالف قول الرسول في التفسير فيجب التحري عن اقوال الرسول ﷺ ومعرفتها في هذا الشأن وعدم التعرض للتفسير من ذات الشخص وحسب اجتهاده .
٥. روي ان ابا عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من رسول الله ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا .
٦. انه من غير المؤلف ان جماعة ياتيهم كتاب في علم من العلوم ولا يدرسونه ولا يعرفون معناه فكيف بكتاب الله .
٧. روي عن كثير من الصحابة الكرام انهم كانوا لا يقولون بالقرآن بارائهم الا ان يكون نقلا عن رسول الله ﷺ ولو لم يكن قد فسره جميعا لرخص لهم الاجتهاد فيه .
٨. روي عن عمر بن الخطاب انه قال : ان اخر ما انزل اية الربا ومات رسول الله ﷺ ولم يفسرها يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفسر جميع القرآن تباعا ومن غير ان يترك شيء .
وبناء على ان الرسول ﷺ فسر جميع القرآن او معظمه والذي بقي فالصحابه يفهمونه ففسروه للتابعين فانه لا حاجة لان يجتهد احد في القرآن ولا يوجد مصدر لتفسير القرآن الا الاثر عن الرسول والصحابه والتابعين .
هذه اراؤهم وهذه ادلتهم ، ولايسلم لهم بكل ما ذهبوا اليه فهناك من يخالفهم كاصحاب التفسير بالرأي . والله تعالى اعلم.